اشكال الإلوهية في الديانة العراق القديم

الباحث: نعيم هادي جفات الحصونه
الأستاذ الدكتور عادل هاشم علي
جامعة البصرة/ كلية الآداب/قسم التاريخ

الملخص:-

بينت النصوص الميثولوجية العراقية القديمة ان الإنسان العراقي القديم كان يؤمن بوجود قوة إلهيه موحده تسيطر على الكون وتدبر أمره , وتضع القوانين التي تضبط حركته.

ان المنظومة العقائدية في العراق القديم لم تكن في واقع الأمر سوى انعكاساً للوضع السياسي في غالبية مشهدها الذي وصل الينا عبر الرقم الطينية , وهذا ما ساهم بصورة كبيرة على ارباك المشهد العقائدي فيها, وادخل عليها الكثير من التناقضات التي قادت الى الحكم على هذه الديانة بأنها تعدديه .

بناءً على ما تقدم نستطيع ان نقول ان الديانة العراقية القديمة كانت تؤمن باله واحد , وان هذه الأسماء العديدة والتي أطلق عليها الهه ما هي الا كائنات إلهيه لا تتمتع بقوى ذاتيه وإنما تستمد قواها من (آن – آنو) الاله الخالق الأعظم فهو مصدر القوة الأول في الكون , وكل هذه الكائنات تعمل بأمره , وهذا مشابه بعقيدة الأديان السماوية بالملائكة حيث تدير الملائكة شؤون الكون بأمر الله تعالى , او ان هذه الأسماء المتعددة ما هي الا أسماء للإله الواحد حسب تجلياته لخلقه وكان الالوهيه الواحدة لا يمكن الإحاطة بها الا حين تجزئتها حسب التجليات والمهام .

كلمات مفتاحية: العراق القديم ، الالوهية ، التوحيد ، التفريد

The Forms of Godhood in Ancient Iraq Religions

Research: Na'im Hadi Jafat Al-Husounah

Assistant Professor Dr. Adel Hashem Ali

Abstract:

The Mythological Texts in Mesopotamia showed that the ancient Iraqi believers believed in the existence of unified power controlling and managing the universe, and establishing laws that control its movement. In fact, the beliefs in ancient Iraq were a reflection of the political situation in the majority of its scene which reached to us through the clay tablets and contribute greatly to the confusion that led to the rule of Mesopotamian religion as a pluralism. Accordingly, Mesopotamians believed in one God, and these many names and forms of God were only the divine beings that did not have the power by itself, but derived their strength from the Ann – Anu the almighty God. He was the first source of strength in the universe, and all these names were used in the same way. This was similar to the doctrine of religions of monotheism with angels. The angels ran the affairs of the universe by the order of God. To put it another way, these multiple names are only names of the one God according to manifestations of his creation and the single deity could not be surrounded except when fragmented according to manifestations and tasks.

Keywords: ancient Iraq, divinity, monotheism, exclusivity

المقدمة:-

المبحث الأول

الإلوهية الموحـدة

ان نصوص الميثولوجيا العراقية القديمة بينت ان الانسان العراقي القديم كان يؤمن بوجود قوة الهيه موحده تسيطر على الكون وتدبر امره , وتضع القوانين التي تضبط حركته , وهو ايمان بالوهيه موحده توسل اليها من خلال اله مشخص ومحدد تمثل باله المدينة او اله الاقليم او غيرها , يتعبد اليه طالما يرى فيه التعبير الاسمى عن فكرة الالوهيه المتأصلة في ضمير الانسان السابقة لأي تصور يشخص هذه الالوهيه ويحددها في كائنات روحية متفوقة [١].

وقضية ايمان الانسان بالاله الواحد قضية فطرية يقول بها اليوم بعض العلماء الذين درسوا احوال القبائل البدائية وأنواع معتقداتها فرأوا ان عقائد هذه القبائل البدائية الوثنية ترجع بعد تحليلها وتشريحها ودراستها الى عقيدة اساسية قائمة على الاعتقاد بوجود (القديم الكل) او (الاب الاكبر) , الذي هو في نظرها العله الاساس وهو ما يقابل اله واحد حسب تصورنا , وتوصلوا الى ان هذه العقيدة هي عقيدة سبقت التوحيد ثم ظهر بعدها الشرك وقد اطلق عليها بالالمانية Ukmono Theismus اي التوحيد القديم [٢] , وهذا ما ايدته الكتب السماوية حيث تذكر ان التوحيد كان هو العقيدة الاولى والأساس للبشر وما الشرك وعبادة الاوثان الا تراجع عن العقيدة الحق وهي التوحيد , ورد في القرآن الكريم ما يؤيد ان الناس كانوا على دين واحد : " وما كان الناس الا امة واحدة فأختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون " [٣].

ان المرحلة الدينية سبقت المرحلة السحرية في الجماعات البشرية , حيث تشير الدراسات الانثروبولوجية الى ان ديانة التوحيد البدائي والاله الاسمى هي الديانة التي كانت سائدة في فجر المجتمعات الانسانية الاولية وان الطقوس السحرية جاءت مسخاً وتشويهاً لتلك الديانة الفطرية التي عرفت عند اقزام افريقيا وعند الفيجيين وقبائل اندرومانير في اسيا الجنوبية [٤], واسمت الاديان السماوية ديانة التوحيد بدين الفطرة , وهو ما جاء في القران الكريم قوله تعالى : " فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لايعلمون " [٥].

ان ما يبدو لنا بوضوح ونحن نلقي هذه النظرة العلمية الحيادية على معتقدات الشرق القديم وخصوصاً العراقية منها , ومن موقع غير متأثر بافكار ومواقف مسبقة تستند الى القراءة الغربية للدين العراقي القديم, وكذلك ما ذهب اليه حاخامات اليهود الى ان التوحيد هو براءة اختراع توراتية , بعيداً عن ذلك نجد ان المعتقدات العراقية القديمة قد طورت ومنذ فجر التاريخ مفهوماً مجرداً عن الالوهه المطلقة المنزهة التي لايحدها اطار ولاتتجسد في شكل او هيئة , وبما انه لابد للإنسان في تعامله مع فكرة الالوهه من وسيط يلخصها في عقله وبموضع تجربته الداخلية معها في الخارج , فقد ابتكر الاله الاعلى الذي خلق نفسه بنفسه وخلق السموات والأرض وكل نفس حية وخلق بقية الالهه , و أوكل لهم مهاماً ومجالات فعل ونشاط [٦] , ونحن

نتفق مع الباحث على وجود الاله الاعلى الذي وصفه في الفكر الديني العراقي القديم , ولكن نختلف معه في ان الانسان العراقي القديم ابتكر مفهوم هذا الاله , وانما عقيدة الاله المسيطر والخالق , متأصلة في الوجدان البشري الفطري منذ بداية الخلق كما اسلفنا , فالانسان السومري حاول في اول نظرة القاها على كونه وعالمة تفسير الكون المحيط به وتفهم البداية المطلقة للوجود , والقوى التي عملت في التكوين والخليفة , ورأينا انه توصل في محاولاته الى مفهوم مفاده ان الكون والخليقة التي فيه من ابداع قوة خلاقة فوق الطبيعة (آن – سيد) تجلت باقوى **مظاهرها في زمن البدء فاخرجت الكون من العماء , وخلقت الانسان والكائنات الاخرى بأسرها** [٧].

وقد يشعر المتابع لعالم الالهه الشرقية ان هناك حالة من الفوضى والكثرة في الالهه, ولكن في اعتقادنا ان مجرد رسم خارطة معرفيه للنسيج الالهي الهرمي سوف تجعلنا نتبين حقيقة الوحدانية التي كانت مجسده في المجتمعات الشرقية القديمة , غير ان تعامل الناس مع عالم الالوهه انذاك كان لايتم عبر الاله العالي بل مع الالهه الملائكية او الارضية التي كانت تعنى بكافة احوال المدن والمجتمع [٨], ومثال ذلك نرى ان الملك الاشوري اشور بانيبال (٦٦٨ – ٦٢٧ ق.م) يتضرع الى الالهه (عشتار) من اجل ان تشفع له عند الاله اشور الذي يمثل عنده القوى الكونية المطلقة " اه ياسيدة السيدات والهه الحرب وسيدة المعارك التي تقدمين المشوره للاله العظماء والتي تنطق بكلمات رائعة امام اشور ابوك لكي يختارني برفعي الى مستوى عيني في رغبته في ان اكون ملكاً ولكي يسعد قلب اشور " [٩] , وهذا ما نراه واضحاً في المنحى العرفاني للاديان السماوية , حيث ان الانسان غير مؤهل للاتصال مباشرة مع الله وذلك لنقصه وكثرة ذنوبه فلا بد من شفعاء يتقرب بهم الى الخالق والاله العالي , وهؤلاء الشفعاء او الاقطاب على مصطلح الصوفية او الناصورائين على مصطلح المندائيين هم محط نظر الله الى العالم , كما ان الله قد اوكل ادارة شؤون الكون الى المخلوقات الالهيه (الملائكة) ولكل منهم مقام ومهمة معلومة , وكل افعال التدين والاعتقاد التي كان يقوم بها المجتمع كانت تتم للاله العالي ولكن عبر رموزه وملائكته لانه اله متواري صاحب الكلمة المحجوب والذي يملك القوة وكلمة الخلق [١٠].

ومن الباحثين من ذهب الى ان هذه الاسماء الكثيرة التي وردت في المثيولوجيا العراقية القديمة والتي ترجمت على انها الهه متعددة ما هي الا نعوت وصفية تطلق معظم الاحيان على اله واحد , بهدف التعظيم والتبجيل الذي كانت تتطلبه فروض الطاعة اثناء العبادة [١١] , او انها كانت تتخذ اكثر من صفه تبعاً للاقوام التي تقدسها او حسب ما يتطلبه النص الديني .

هذه الكائنات الالهية والتي سميت الهه نراها وقد صورت في النصوص العراقية القديمة بانها تحتاج للبشر في اطعامها والقيام بخدمتها , جاء في اسطورة الطوفان السومرية حينما اهلك البشر وانقطعت القرابين التي يقدمها الانسان للالهه , جاعت هذه الالهه في حينما نجأ زيوسدرا من الطوفان وقدم اضحيته للاله اجتمعت عليه هذا الكائنات كالذباب من شدة جوعها , وهذا ما نصت عليه ملحمة جلجامش:-

فأطلقت الجميع نحو الجهات الاربع وقدمت اضحية

سكبت خمر القربان على قمة الجبل
وضعت سبعة قدور وسبعة اخر
جمعت تحتها القصب الحلو وخشب الارز والاس
كي تشم الالهه الرائحة
شمت الاله الرائحة الزكية
فتجمعت على الاضحية كالذباب [١٢] .

اذن حسب هذا النص , هذه المخلوقات والتي سميت الهه محتاجة للبشر في اطعامها , حتى ان خلق الانسان عللته النصوص العراقية القديمة بخدمة هذه الكائنات (الالهه) , كما ان النصوص وصفتها انها مخلوقة ومسبوقة بالعدم , ووصفت في النصوص بانها مثل البشــر , او بشر في بداية عهدها , جاء في اسطورة (اينوما ايليش) البابلية :-

قبل ان تشكل المراعي وسبخات القصب
قبل ان يظهر للوجود الالهه الاخرون
قبل ان تمنح لهم اسماءهم وترسم اقدارهم
في ذلك الزمان خلق الالهه الثلاثة [١٣] .

مسبوقون بعدم , ومخلوقون , اقدارهم مرسومه , منحت لهم اسماءهم , صفات لاتمت لمفهوم الاله المتعارف بشيء الذي هو مسيطر على كل شيء وواهب كل شيء , كما ان هذه الالهه وصفت بانها بشر في بداية عهدها كما جاء في نصٍ اخر في أسطورة اتراحاسيس :-

حينما كانت الالهه ما تزال بشراً
كانوا يضطلعون بالشغل ويحتملون الكد
كان عناء الالهه كبيراً
وشغلهم ثقيلاً وشدتهم طويلة [١٤] .

ومن هذه الكائنات من قتل وذبح ليخلق من دمه الانسان , فقد اعتقد البابليون بان شيئاً ما من الالهه قد استعمل في خلق اول انسان من مزيج مكون من دم الهي وطين ادمي [١٥] , وفي النص من أسطورة اتراحاسيس :-

فتح ايافاه
وقال للالهه العظام
في اليوم الأول والسابع والخامس عشر من الشهر
ساعد حماماً للتطهير
فليذُبح اله
وليغطس فيه الالهه الاخرون فيتطهروا
بلحم ودم هذا الالهه
لتمزج نينتو [١٦] طينياً
ليصبح الالهه والانسان

ممزوجين سوية في الطين [١٧] .

كما ان تصرف هذه الكائنات الالهيه في المهام الموكله اليها لايتم الا وفق قانون اعد لها والزمت به , فقد كان رجال الدين السومريين يفترضون ان تشغيل وإدارة الكون ومراقبته يقوم به مجمع الهه يتألف من مجموعة من الكائنات الحية تشبه الانسان شكلاً ولكنها فوق البشر وخالدة , وهي على الرغم من أنها لاترى بعين الانسان الفاني , كانت تسير الكون وتسيطر عليه وفقاً لخطط وضعت بدقة وبقوانين معينه ... وكان هذا الكائن الراعي يوجه فعالياته وفقاً للقواعد والأنظمة الثابتة [١٨] , وبهذا النقص الذي اعترى هذه الكائنات وغيره يكون من الراجح القول انها لم تكن الهه بالمفهوم المتعارف عليه هذا اليوم , ومن الراجح ان تعبير الاقدمين عن معتقداتهم التوحيدية يقصر عن ابلاغنا في هذا الوقت عن فكرة التوحيد لديهم بصورة واضحة وبدون لبس , لأنهم حينما كتبوا عن هذه العقيدة ووضعوا لها الرموز لم يكن في حساباتهم ان هذه الرموز والعبارات سوف تخضع للدراسة والتحليل بغية فهمها بعد الالاف السنين , كما ان الكلام عن الحقائق الالهيه بلغة بشرية لا يرتقي لمستوى الفكرة , وخاصة اذا كانت اللغة التي يعبر بها الكاتب في بداية تشكيلها , فضلاً عما يجري على هذه المصطلحات والرموز من تغير وزيادة واقلاب وابدال ونقل من جيل الى جيل ومن عصر الى عصر , اذن من الطبيعي ان تصبح هذه الكلمة غير قادرة على ان تختزن المعنى الحقيقي الذي وضعت له , واذا اضفنا الى ذلك عدم دقة الترجمة لعدم احاطة المترجم بزوايا وخفايا اللغة سواء المنقول منها او المنقول اليها من حقيقة ومجاز وكناية وغيرها , نرى انه من الاحتمال الواسع ان تبتعد الترجمة عن المعنى الذي ارادة كاتب النص الاول مثلما ترجمت احدى المستشرقات كلمة (لباساً) في القرآن الكريم في قوله تعالى : " وجعلنا الليل لباساً " [١٩] ترجمتها بما يقابل معنى (بنطلوناً) في اللغة الانكليزية [٢٠], وفي ذلك ابتعاد كبير عن المراد من كلمة (لباس) , وخصوصاً وكما ذكرنا سابقاً ان علامة النجمة الدالة على الالوهه والتي توضع مع اسماء هذه الالهه ليس بالضرورة تعني انهم الهه , فهذه العلامة لها معاني اخرى ايضاً مثل مزدهر ومبارك وعالي وكلها معاني تصرف الذهن الى ان المراد من وضعها مع اسماء هذه الذوات بأنهم كائنات سامية او سماوية او عالية اي اعلى من البشر وليس بالضرورة انهم الهه , كما ان هناك بعض الملوك وضعت قبل اسمائهم هذه العلامة وهي لا تدل على الوهيتهم بل تدل على توكيل الاله اليهم بحكم البشر [٢١].

وكان للعامل السياسي دوراً اساسياً في رسم خريطة ما وصلنا من عقائد العراق القديم , حيث الذي كتب من هذه العقائد هو الدين الرسمي الذي تدخلت فيه المصالح السياسية خصوصاً وان مهنة الكتابة كانت مقصورة على فئات معينه تابعة للحكام , فلا يكتبون الا ما تمليه عليهم سلطة الملك وحليفة الكاهن , فأن معظم المتخرجين من المدارس السومرية كان مصيرهم في الواقع ان يعملوا كتبة في خدمة المعبد والقصر وصاروا من بين الاغنياء والمتنفذين في البلاد [٢٢], بل ان هؤلاء الكتبة كانوا ينحدرون من عوائل ارستقراطية متنفذه , حيث ان تكاليف تعلم الكتابة في ذلك الزمان غير متيسرة للفقير , ففي الالاف من الوثائق الاقتصادية والإدارية

المنشورة التي يرجع تاريخيها الى حوالي ٢٠٠ ق.م دون حوالي خمسمائة شخص اسماهم على انهم من الكتبة , ولزيادة التعريف اضاف العديد منهم اسماء اباءهم ومهنهم وجمع (شنايدر) ثبتاً بهذه الحقائق فوجد ان اباء الكتبة اي خرجي المدرسة كانوا من الحكام ومن (وجهاء المدينة) ومن السفراء والمشرفين على ادارة المعبد ومن ضباط الجيش والضباط البحريين ومن كبار موظفي الضرائب ومن طبقات الكهنة المختلفين[٢٣], اذن نحن امام نصوص دينية كتبتها الطبقة الحاكمة , اي امام نصوص تمثل في اغلبها دين السلطة واتجاهاتها العقائدية التي لاتنفك دائماً عن مجارات المصلحة السياسية , وهذا ما يحدث على مر الازمان والى اليوم , اما دين العوام فهو مغيب بصورة شبه تامه عن التدوين , ومما لاشك فيه ان للسياسة ولاشكال المجتمعات السياسية دور في تطور الاديان , وقد كان التعاون وثيقاً جداً في الايام الماضية خاصة بين **السلطات الزمنية والسلطات الدينية , حتى كان الحكام الزمنيون كهاناً في كثير من الأوقات** [٢٤].

وحتى الخلافات التي تقع بين القصر والمعبد كانت تلقي بظلالها على المشهد العقائدي للدولة , ففي كثير من الاوقات ان وقع الاختلاف بين السلطتين ادى الى حدوث تغير في عقيدة الحكومة وأكثرية الشعب [٢٥], وكانت النزاعات السياسية والعسكرية بين الدولتين تلقي بظلالها ايضاً على الدين وتكون سبباً في تحولات عقائدية ربما تكون شاملة , ولطالما ادى قهر مدينة او قبيلة او شعب الى قهر الهتها معها وموتها والى عبادة الهه القاهرين المتغلبين باعتبارها اقوى وأعظم شأناً من الهه المغلوبين التي لم تتمكن من حمايتهم من تعديات الغالبين, وقد تبقى تلك الالهه فتندمج في الهه المغيرين فيزداد بذلك العدد وتتعدد الالهه وتختلط الاساطير بعضها ببعض وتتداخل [٢٦] , وهذا التغيير في الالهه هو تغيير بالأسماء على الاغلب فصفات الالهه ومهامه تبقى هي هي مما يشعر بان هذا التغيير طرأ على أسم الاله نفسه , ففي عهد حمورابي في نحو سنة ١٧٥٠ ق.م أصبحت بابل عاصمة مملكة وحيدة ومتماسكة واذ تقدمت هذه المدينة وملكها واستلمت السلطة على المدن الاخرى فكان لابد لالهها الحامي مردوخ الذي كان الى ذلك الحين دون شهره كبيرة من ان يفعل ذلك تجاه المدن الاخرى اولاً ثم اتجاه الالهه الاخرين , وبعد ذلك قام الاشوريون في المملكة الشمالية بالفعل ذاته تجاه الهم القومي (اشور) واستبدلوا باسم مردوخ أسمة في نص قصيدة (اينوما اليليش) قصة الخليفة البابلية [٢٧].

وبهذا نرى ان المنظومة العقائدية في العراق القديم لم تكن في واقع الامر سوى انعكاساً للوضع السياسي في غالبية مشهدها الذي وصل الينا عبر الرقم الطينية , وهذا ما ساهم بصورة كبيرة في ارباك بنيه المنظومة العقائدية شيئاً ما , وادخل فيها الكثير من التناقضات التي قادت الى الحكم على هذه الديانة بانها ديانة تعددية , أضف الى ذلك ان الطابع الاسطوري الذي طغى على معظم اداب العراقيين القدماء الذين عالجوا في اساطيرهم قضايا مهمة وخطيرة مثل خلق وبنية الكون والإنسان واصلة وعله وجودة ونهايته والظواهر الطبيعية وتفسيرها , وعلى الرغم من ان معالجتهم لمثل هذه القضايا لم يكن على اساس فكر موضوعي [٢٨] , لان كتبة الميثولوجيا السومريه كان هدفهم الاول هو تأليف قصائد قصصية عن الالهه رائعة للناس وموحية وممتعة لهم , اما وسائلهم الادبية الرئيسية فأنها لم تكن المنطق والحجة وانما كان التصور والخيال , ففي

سرد قصصهم لم يترددوا في اختلاف دوافع وأحداث توضع وفقاً كنموذج العمل البشري دون ان يكون لها اي اساس في التفكير العقلي التأملي , كما لم يترددوا في تبني مواضيع اسطورية وفلكلورية لم يكن لها علاقة بالتحقيق والاستنتاج الكونين [٢٩].

وعلى هذا لابد من قراءة متأنية وموضوعية وبنفس شرقي لما وردنا من النصوص الدينية العراقية القديمة , لان هذه القراءة حتماً ستنتج راعياً مغايراً للرأي القائل بعدم وجود التوحيد على كل ازمنه العراق القديم , لان الباحث المدقق سيجد من خلال قرأته لهذه النصوص الادله والبراهين التي تثبت الاصل التوحيدي للدين في العراق القديم , ويرى الصلة الواضحة لهذه الديانة مع الاديان التوحيدية مما يوحي بالمصدر السماوي لديانة العراقيين القدماء ولكن كان للعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي امتدت عبر الالاف من السنين أثر في انحراف هذه الديانة شيئاً ما عن خطها التوحيدي في بعض الادوار التي مرت على الحضارة العراقية القديمة .

المبحث الثاني

التفويـــض

آمن العراقيون القدماء بأعداد ضخمة من الكائنات السماوية والأرضية معاً , وكان لكل كائن من هذه الكائنات مهمة معينة , فمنهم من هو موكل بالمطر او بالهواء او بالحب او الحرب الخ , حتى الفأس والمحراث كان لهما من يدبر امرهما من هذه الكائنات , وقد اعتبر من ترجم النقوش المسمارية ان هؤلاء الهه وذلك لوجود علامة النجمة مع الاسماء الدالة على هذه الكائنات وعلامة النجمة تدل على المصطلح السومري (آن) (AN) والذي يعني السماء وتعني السيد ويلفظ بالاكدية (انو) (Anu) كما ان كلمة شامو (Samu) الاكدية تعني سماء ايضاً وقد استخدم المصطلح (آنو) (An – Anu) ليشير الى الـه السمـاء عنـد السومريين والاكديين [٣٠] , وهذه العلامة المسمارية نفسها تـدل على المصطلـح السومري دنكـر (DINGIR) الذي يعني اله يقابله بالاكدية ايلو (اله – ilu) , ولكن هذا المصطلح له معاني اخرى باللغة السومرية واللغة الاكدية و (AN) و (Anu) بالاكدية يعني ايضاً اللمعان والاشراق والسمو ومصطلح (AN) بالسومرية تقابلها كلمة (ايلانو) (ilanu) بالاكدية وبمعنى مزدهر مبارك [٣١], وتدل هذه العلامة ايضاً على العلى وفوق , والمصطلح السومري (AN-TA) يعني مرتفع ويقابلة بالاكدية شاقو (Saqu) [٣٢] , وبعد هذه الدلالات التي تشير لها هذه العلامة فمن المحتمل انها لاتدل في وجودها مع اسم ما على ان صاحب هذا الاسم اله بالمعنى المتعارف , فمن المرجح انها تدل على ان صاحب الاسم هذا مرتبط بالاله او مكلف من قبل الاله بمهمة ما , او انه كائن سماوي او كائن الهي مقدس , ونلاحظ ان الكلمة التي يدخل فيها المقطع آن (AN) لها علاقة بالسماء , او تحميل صفة من صفاتها , وخصوصاً ان علامة النجمة دلت على الاله انو من دون إضافة اسم اخر , وذلك لأنه رب الارباب او هو الوحيد الذي تتمثل به الالوهيه الحقيقية التي لاينازعها فيها أحـد , اما الكائنات التي كُتبت اسماءهم واضيفت لها هذه العلامة فهم كائنات تنسب بنسبة ما للإله (آن) فهي العلامة او او او وحسب

التطور الزمني فهي تدل على العلاقة بين هذه الكائنات وبين الاله رب الارباب , والإله (آن) هو الالهه الوحيد الذي لم تسبق اسمه علامة النجمة لانها ذات العلامة التي كتب بها اسمه , وهو الاله الوحيد الذي لم يظهر بالهيئة البشرية على المشاهد الفنية القديمة [٣٣] .

وهناك نصوص مسمارية تتحدث عن المثيولوجيا العراقية القديمة توحي بان هذه الكائنات التي اطلق عليها (الالهه) ما هي الا مخلوقات سماوية تقوم بمهام يكلفها بها الاله خالق الكون , ورد في تسبيحه لـ (انانا) عشتار :-

انت اينانا تعاليتي في السماء والأرض
تمتطين وحشاً
تخرجين
تمطرين الارض بالحمم واللهب
كلمتك المشؤمه تأتي بأمر من ان [٣٤] .

فالإله العالي سيد السماء والأرض المتواري في اقصى سماواته لم ينزل من علياءه ليدخل في تفاصيل الكون والحياة البشرية بل بقى في سماءه حيث منح (الكلمة) الخالقه , ومن ثم كان هناك الهه اقل درجة منه يمكننا ان تطلق عليها (الالهه الملائكية) حيث كانت جل اعمالها تجسيداً وتنفيذاً لأوامر الاله العالي الخالق آنو [٣٥] , وهذا مقارب لاعتقاد الديانات السماوية الاربعة في الملائكة , حيث هي كائنات الهيه او سماوية تدبر امر الكون بامر خالقه الاله العالي حيث ورد في القرآن الكريم في وصف الملائكة : " والمدبرات امرا "[٣٦] وقال تعالى : " وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون " [٣٧] , وجاء في الكتاب المقدس في مزامير داود " بارك الرب يا ملائكته المقتدرين قوة الفاعلين امره عند سماع صوت كلامه " [٣٨] , وقد خصصت العقائد العراقية القديمة لكل مظهر من مظاهر الطبيعة كائناً الهياً ذا شخصية وظيفية تتناسب وطبيعة ما يمثله العنصر في مسيرة حياتهم , تماماً كما هو في عقائد الديانات السماوية حيث تخصص كل ملاك بمهمة معينة او اكثر , وقد امن العراقيون القدماء ان للسماء الهاً عظيماً متواجداً في كل مكان وامنوا بأن كل البيوت والأمكنة هي بيت وملك ومحل لسكنى الاله الذي يحيط بسماء كل شيء منظور , وبهذا يكون وجود كل الاشياء قد ارتبط بديمومة وجود السماء بغطاءها الابدي ذي اللون الازرق , بوصفها الها ازلياً دائم الفعل والوجود , يؤثر في جميع الحركات الكونية , بل هو المحرك الاول الذي يحرك ولا يتحرك , يغير ولا يتغير مستمر الفعل [٣٩] , اما باقي الكائنات التي سميت الهه ماهي الا منفذي لأوامر الاله المسيطر فهم اقل منه درجة بل هم ليس من جنسه , فقد اعتراهم الخطأ والزلل وربما الموت في بعض الحالات , بل وصفتهم بعض النصوص بأنهم كالبشر , ففي نص سومري لخلق الانسان يتحدث عن خلق اله الماشية (لهـار) واله الحبوب (أشنان) لإطعام الاله التي لاتشبع والتي كانت في مطلع الازمان اشبه بالإنسان البدائي :-

كالبشر عندما خلقوا في الماضي البعيد
لم يعرف الاله اكل الخبز لا ولم يعرفوا لبس الثياب

بل التقطوا النباتات با افواههم
ومدوا رؤوسهم لشرب الماء من الجداول [٤٠].

وتمثلت الالوهيه المطلقة في الميثولوجيا العراقية القديمة في الاله (آن) وعُد هذا الاله الاب الفعلي لجميع الالهه في اغلب اساطير بلاد الرافدين , الذي يتحكم بمصائر جميع المخلوقات وتضمينها الالهه والبشر , وهو الذي تزعم اغلب مسائل الخلق وكثيراً ما تلجأ اليه الكائنات الالهيه (الالهه) في الازمات والحالات العصيبة , وكان للإله السماء (انو) او (آن) حاشية اشبة بعائلة كبيرة تضم وزراء مثل وزيرة الاله (لبرات) والإله (كاكا) مع موظفين من مختلف اصناف الالهه , وكذلك مستشارون وخدم اخرون يعملون في خدمة الرمز السماوي المهيب [٤١] , ولايخفى ان هذه الصور للمجتمع السماوي في الدين العراقي القديم مشابه تماماً لصورة عالم الملكوت والملائكة في الاديان السماوية حيث الملائكة مسخرون لخدمة الله وتسيير شؤون الكون بأمره , فالله خلق الملائكة ليدبروا الامر بأذنه هذا في معتقدات الاديان التوحيدية الاربعة وخلق آن الكائنات الالهيه (الالهه) ايضاً ليدبروا الشؤون الكون , ورد في اسطورة (اشنان ولاهار) [٤٢] :-

بعد ان عمل (آن) وهو على جبال السماء والأرض
على ولادة (الانوناكي) اتباعه [٤٣].

وفي ترجمة اخرى عندما قام (ان) على جبال الكون
بخلق الانونا[٤٤] [٤٥].

وكان رجال الدين السومريون يفترضون ان تشغيل وادارة الكون ومراقبته يقوم بها مجمع الهه يتألف من مجموعة من الكائنات الحية تشبه الانسان شكلاً ولكنها فوق البشر وخالدة وهي وعلى الرغم من انها لاترى بعين الانسان الفاني كانت تسير الكون وتسيطر عليه [٤٦].

ووصفت هذه الكائنات الالهيه بانها فوق قدرات البشر وانها لاترى بالعين المجردة , يؤيد الرأي الذي ذهب الى انها الملائكة التي تحدثت عنها الديانات التوحيدية الاربعة , وتسير هذه الكائنات لشؤون الكون لايتم وفق اجتهاداتها الشخصية او بصورة ارتجالية عشوائية وانما وفقاً لخطط وضعت بدقة وبقوانين معنية [٤٧] , وحتماً الذي وضع لها هذه القوانين هو الاله الخالق المسيطر ورب الأرباب , وقد وصف القرآن الكريم الملائكة بأنهم يعملون وفق امر الله وانهم لايعصونه في اي شيء " بل عبادة مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون " [٤٨] وقال تعالى : "عليها ملائكة خلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون " [٤٩], وقد وصف احد النصوص المسمارية الاله (انو) الذي يرأس مجلس الالهه بأن أمره لايرد بل امره أساس السماء والأرض :-

وما قول السيد والأمير إلا
ما تأمر به وما تواقعه انت عليه
يـا (انو) كلمتك هي العليا
من يستطيع ان يقول لها كلا

يا ابا الالهه إن امرت
فأمرك اساس السماء والأرض
اي اله يستطيع لأمرك رداً ؟؟! [٥٠] .

فأوامر السادة والأمراء لاتنفذ الا بأذن (انو) وكلمته هي اعلى كلمة في الكون لايستطيع احد ردها وأمره الأساس في السماوات والأرض , ان هذا النص يقترب من صفاة الاله الواحد الذي امنت به الديانات التوحيدية , وقد وزع رب الأرباب المهام الكونية على الكائنات الالهيه واختص كل منها بمهمة او اكثر من مهمة , فعوالم السماء والارض والبحر والهواء العظيمة , والعناصر النجمية الكبرى , والشمس والقمر والكواكب والقوى الجوية كالريح والعاصفة والزوبعة وأجزاء الأرض الذاتيات الطبيعية كالنهر والجبل والسهل , والذاتيات الحضارية كالمدينة والدولة والسَّد والخندق والحقل والمزرعة , وحتى الأدوات كالفأس وقالب الاجر والمحراث كان كل واحد منها على يعتقد برعاية احد من تلك الكائنات المتخيلة على انها فوق البشر وكان هذا الكائن يوجه فعالياته وفقاً للقواعد والأنظمة الثابتة [٥١].

وهناك من الباحثين والمختصين من ذهب الى هذا الرأي القائل بان ما عدته الترجمة للنصوص المسمارية (الالهه) انما هي بمثابة ملائكة حيث يذكر : " ان النصوص العراقية القديمة قدمت وصفاً لمجمع الالهه يرأسه اله خالق سيد الكلمة الاولى الخالق سيد السماء والارض ورب الارباب والخالق ابو السنين – آنو – حيث لاينازعة احد في مقدمته وقدرته الالهيه احد من الالهه او البشر , ولايشرك به احد ثم يتلو السيد العالي مجموعة من الالهه تبدت في النصوص كالهه ونحن الان نقارب وصفها من خلال تخصصاتها بانها ملائكة الهيه صار وصفها فيما بعد مع الاديان بالملائكة " [٥٢].

و ورد ايضاً في بعض النصوص ان هذه الالهه تترجف من عظمة رب الارباب (آنو) وتخشع لصوته اذانها , ومن هيبته لاتقترب الا مرتجفة وتسجد لمجرد سماع صوته:-

أمير الالهه الذي كلمتك هي السلطة
في مجمع الالهه الكبار سيد التاج العظيم
المزدحم ببهاء سائد , وترق اذان الايكيلي
لسماح حكمك العظيم ولا تقترب منك
الانوناكي بمجموعها الا وهي مرتجفة
على صوتك تحز كل الالهه ساجدة [٥٣]

فكل الالهه ساجدة لانو وكل الملائكة كما هي عقيدة الاديان التوحيدية خاضعة وعابدة وساجدة لله , جاء في القرآن الكريم : "ولله سيجد ما في السموات والأرض ومن دابة والملائكة وهم لايستكبرون " [٥٤], وقال تعالى : " ويسبح الرعـد بحمـده والملائكـة من خيفته " [٥٥] , " والملائكة يسبحون بحمده ربهم " [٥٦] ,وجاء في كنزا ربا [٥٧] الكثير من المواضع التي تذكر تسبيح الملائكة لله تعالى وطاعتهم وخشيتهم له : " خالد فوق الاكوان لا موت يدنوا منه ولا بطلان وامامه الملائكة ماثلون لاضويتهم يتألقون ساجدين خاشعين شاكرين مسبحين [٥٨] وجاء

في الكتاب المقدس السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة اجنحة بأثنين يخطي وجهه وبأثنين يخطي رجليه وبأثنين يطير وهذا نادى ذاك قدوس قدوس رب الجنود مجده ملى كل الارض فاهتزت اساسات العتب من صوت الصارخ وامتلى البيت دخان [٥٩].

وان كان العراقيون القدماء قد قدسوا هذه الكائنات الالهيه (الملائكة) فأن تقديسها غير مستغرب ولا مستهجن عند الاديان السماوية التي كان مهدها ومرجلها الشرق الادنى القديم بل كان الايمان بهذه الكائنات الالهيه من ضرورات هذه الاديان السماوية ومنها الاسلام , لكن للحد الذي لا يصل الى العبادة فقد فرض الاسلام الايمان بالملائكة وعدة مقروناً بالايمان بالله تعالى حيث ورد في القرآن الكريم : " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملائكة ... " [٦٠], وقال تعالى : " كل امن بالله وملائكته وكتبة ورسله ... "[٦١], بل عدَّ القرآن الكريم عداوة الملائكة هي عداوة لله تعالى وكفر به " من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبرئيل وميكئيل فان الله عدوٌ للكافرين " [٦٢], واعتبر الاسلام الكفر بالملائكة هو الضلال البعيد " ومن يكفر بالله وملائكته وكتبة ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيداً " [٦٣] , وجاء ايضاً في تمجيد الملائكة في كتاب المندائية المقدس الكنزا ربا : " هو ملك النور السامي هو الله منه كان الملائكة الاثريون لضيائه ونوره يريفلون اسنى من الشمس والقمر منزهون من الكدر اجلاء حين يظهرون صراع حين يسيرون لا عد لفضائلهم ولا قياس لشمائلهم " [٦٤] اذن الايمان بالملائكة مقروناً بالإيمان بالله وانكارهم هو كفر بالله وعداوتهم عداوة لله وضلال بعيد , وفي ذلك دليل على ان العقائد العراقية القديمة هي حلقة من سلسلة اديان الشرق الادنى القديم بل هي بداية السلسلة .

وفي اشارة القرآن الكريم الى عبادة الملائكة مثل قوله تعالى : " ولايأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً ... " [٦٥] , وقوله تعالى : "ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهولاء إياكم كانوا يعبدون " [٦٦], دليل على وجود عبادة للملائكة في زمن ما والتي ظهرت نتيجة لتكليف الدين حسب المصالح المادية والسياسية لتحالف الكهنة والحكام , او نتيجة الخرافات عقائدية لغلو او شبه , ولكن في اشارة القرآن هذه دليل ايضاً على ان هذه الالهه المزعومة هي ملائكة في حقيقتها تطور التقديس لها على مر الزمن ولعدة عوامل حتى تحول الى عبادة وان كان العابدون لها لا ينفون وجود لاله عظيماً مسيطراً على الكون وخالق له , وقد اقر المشركون كما ذكر القرآن الكريم بأن خالق السماوات والارض هو الله وما هذه الذوات التي يعبدونها الا وسيلة للتقرب اليه قال تعالى : " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ " [٦٧] وقال تعالى : " الا لله الدين الخالص والذيين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى " [٦٨] .

وهناك تحيات يحيّ بها كاهن الـ (اوى كلو) وكهنة الما سيماشو وكهنة الـ (اربيتي) وصناع الجعة والحاملون لمحمل (تمثال الاله) يحيوا بها الاله (انو) سبع مرات من معبد بيت ريش وحتى بيت اكيتوا.

انو العظيم عسى ان تباركك السماء والأرض

عسى ان يحيك انليل وايا وصر بيتم تحية طيبة
عسى ان يحيك شمش وسين عند ظهورهما
الالهه نركال والالهه السبعة عساهم ان يحبوك من خالص قلوبهم
الايكيكي الهه السماء والانوناكي الهه الارض عساهم ان يباركوك
اله الابسو والهه الدوكو عساهم ان يباركوك
عساهم ان يباركوك يومياً كل يوم وكل شهر وكل سنة [٦٩] .

يرسم هذا النص مشهداً لتسبيح انو من قبل (الهة) السماء والأرض ولاعماق والهة الدوكو وهو التل الذي تسكنه الالهه عند السومريين وعند البابليين التل الذي يقيم فيه مردوخ وهو تسبيح دائم لاينقطع وهي ذات الصورة التي رسمتها الكتب المقدسة للديان التوحيدية عن التسبيح الغير منقطع من لدن سكان السماوات من الملائكة لله العلي القدير .

وفي قصيده للشاعرة والكاهنة (أنخيدوانا) ابنة سرجون الاكدي تمجد فيها عشتار ترى ان الاله (انو) هو يمنح ويفوض لعشتار النواميس الالهيه فلا استقلاليه للكائنات الالهيه التي سميت (الهه) في التدبير والفعل انما هو تخويل من الاله الاعظم الخالق المدبر بالأصالة , وما تقوم به هذه الكائنات انما بتفويض منه , وكما تصف الشاعرة عشتار بانها تصنع القرارات لابنحو الاستقلالية وانما بأمر مقدس من لدن (انو) الاله رب الارباب , اذن هذه هي عين العلاقة بين الله وملائكته والتي جاءت عند الاديان التوحيدية ونص هذه القصيدة يقول : -

كاهنه الاله (انو) ذات الحلي العظيمة
انت الذي منحها (انو) النواميس المقدسة السيدة التي تمتطي البهائم صانعة القرارات بأمر مقدس من لدن (انو) [٧٠] .

وفي اسطورة (ننورتا وطائر الانزو) [٧١] , حينما سرق طائر الانزو الواح القدر من إنليل فعم الصمت استنهض انو انباءه الالهه من اجل استرجاع الواح القدر فاعتذر بعضهم ونهض بالمهمة (ننورتا), وحدثت المعركة قال ننورتا لانز
باسم (انو) ملك ومؤسس دور انكي ...
جئت لاحاربك انا الذي ساسحقك [٧٢] .

فهو لا يحارب بقواه الذاتية وانما بأسم انو وبقوة انو التي وهبها له فليس هناك حول ولا قوة عند هذه الكائنات الالهيه الا ما يمدهم به الاله الاعظم (انو) خالقهم وخالق الكون .

وفي تسبيحه للكاهنه الكبرى انهيدوانا وهي تسبيح الالهه (إننا – عشتار) نرى إننا رغم ما تصفيها بها الكاهنه من صفاة ورغم ما تتمتع به من قوى تبقى اسيره لأمر انو الاله الاعظم والخالق والمدبر فلا تنفذ لها كلمة الا بأمر (آن – آنو) :-

انت إننا
تعاليت في السماء والأرض
تمتطي وحشاً
تخرجين

تمطرين الارض بالحمم واللهب
كلمتك المشؤومه تأتي
بأمر من آن ...
.....
تدفعين العواصف على الارض
انت تصدعين بأمر آن [٧٣] .

وتقول (آننا – عشتار) ان (آن) الاله رب الارباب هو الذي يعطي لكلماتها معنى ووزن فبدون مدده ليس هناك معنى ولا وزن لكلمات عشتار العظيمة , وهذا ما ورد في قصيدة لانهيدوانا تسمى (آننا وجبل حمري ناو جبل أبه) فإننا نتضرع لان بأن يصغي لكلماتها فهو ابوها :-

آن
أبي
إسلم ! سيليم !
اصغي الى كلماتي
اعطني أذناً صاغية
آن ! كلمتك
اذاعت في السماء كلها
رهبة بريقي المروع [٧٤] .

فبكلمة (آن) اكتسبت (انانا) هذا البريق المروع وكان لها هذه الهيبة التي حصلت عليها بقوة (ان) وليس بقوتها الذاتية فهي منه تستمد القوة وبأمره تعمل وتنفذ :-

آن
أنت
الذي يمنح كلمتي وزنها ومعناها
امام الاخرين
الذي يعطي فأسي الحديد الباردة
ملكوت تخوم السماء الخارجية [٧٥] .

اذن هذه الكائنات المقدسة والتي سميت الهه لاتتمتع بقوى ذاتية وانما تستمد قواها من (آن) الاله الخالق الاعظم فهو مصدر القوة الاول في الكون وكل الالهه تعمل بأمره وتسير الكون بتدبيره وهذا ما ذكر من ما هيه الملائكة في الأديان التوحيدية عباد مكرمون يعملون بأمر الله ولا يعصون له أمراً .

وحيث مجدت الكاهنه الكبرى (انهيدوانا) عشتار اضفت عليها الكثير من صفات الجلال وذلك في احدى قصائدها , ولكنها لم تخرجها عن كونها اي عشتار تستمد قوتها من آنو وتنفذ أوامره , حيث وجد في هذه القصيدة :-

يا محبوبة إنليل انت جعلتها العاصفة تهب على البلاد
فنفذت أوامر (آن) [٧٦] .

المبحث الثالث

التجـــلي

وردت نصوص في الميثولوجيا العراقية القديمة توجه الى ان الإنسان العراقي القديم آمن بان هذه الالهه التي يتقرب لها ما هي الا ظهورات او تجليات متعددة الاله الواحد , مما يقود الى القول بان انسان الشرق الادنى القديم و (الإنسان العراقي) منه خاصة لم يأخذ مسألة تعدد الالهه على محمل الجد , ولم تكن الالهه المتعددة بالنسبة اليه إلا وجوهاً متكثرة للقدرة الالهية الواحدة [٧٧] , وهذه القدرة الالهية الواحدة المسيطرة على الكون والتي آمن بها الانسان العراقي القديم نراها قد تمثلت بعدة أسماء وحسب الزمان والظروف السياسية والاجتماعية , ففي بداية العهود السومرية الاولى وكذلك في العصر الاكدي كان الاله (آن) متربعاً على عرش الالوهيه العظمى ورئيساً للمجمع الالهي , ولكن بمرور الزمن انحسر دور الاله (آن) واصبح دورة غامضاً منعزلاً في السماء كرمز مهيب فقط , دون ان يمارس دوراً فاعلاً في قضايا الكون المصيرية , الا انه ظل محتفظاً بمكانته الرفيعة , اذ لم تتغير مكانه الاله (آنو – آن) عند العراقيين القدماء بالرغم من انحسار دورة في حياتهم بصورة مباشرة فقد ظل يذكر في اعيادهم وتراتيلهم حتى عصور متاخره , اذ هناك صلاة في العصر السلوقي في منتصف القرن الثالث ق.م عنوانها (انو رب السماء والأرض) ورد فيها (آنو) العظيم , لتباركك السماء والأرض , ليباركك بابتهاج الالهه (إنليل وايا ...) [٧٨] , واحتل الاله إنليل الابن الاكبر لان حسب الميثولوجيا السومرية وظائف الاله (آن) , وفي العهد البابلي فوضت جميع الالهه مهامها للاله مردوخ فأصبحت بيده جميع السلطات الالهيه كما ورد في ملحمة (اينوما اليليش) بعدما خول له الالهه الكبار هذه السلطات مقابل قضاءه على خطر تعامه الذي يهددهم:-

تعانقوا وجلسوا في المجمع وتكلموا وجلسوا حول المائدة
اكلو الخبز , وشربوا الخمر
فزال الهم عن قلوبهم
وعندئذ حددوا الاقدار لمردوخ
اقاموا لمردوخ منصة عرش ربانية
وحيل اباءه أخذ مكانة ليلتقى السلطة الربانية
" انت الاهم بين كبار الالهه "
ليس لقدرتك مثيل وأمرك كأمر آنو
يامردوخ , ها أنت الاعظم من بين الالهه
لايقارن قدرك وأمرك كأمر آنـــو [٧٩] .

ونلاحظ رغم اعتلاء مردوخ منصب كبير الالهه لكن يضل آنو مثالاً للسلطة العليا الباقية التي لاتتزعزع بالتطورات السياسية والاجتماعية , التي حدثت عبر ادوار حضارة العراق القديم وذلك مما يدلل على انه رمز للتوحيد والالوهيه العظمى .

وعند الاشوريين تمتع الاله اشور بجميع صلاحيات ووظائف الاله مردوخ وتمثلت به عندهم الالوهيه المسيطرة والمدبرة , اذن آمن العراقي القديم بالوهيه بتوسل اليها من خلال اله مشخص هو اله المدينة والإقليم الذي رأى فيه التعبير الاسمى عن فكرة الالوهيه المزروعة في **ضمير الانسان والسابقة لاي تصور يشخص هذه الالوهيه ويحددها في كائنات روحيه متفوقة** (٨٠).

ومن النصوص التي تصور ان الاله المتعدد ما هي الاتجليات للاله العالي المسيطر , او تمثل مزيه للاله العالي او مهمة من مهماته , اذن الالهه المتعددة مظاهر لشخصية الاله العالي وهي ترتيله بحق مردوخ :-

(ان الاله) تون هو مردوخ فيما يخص الفلاحه
(لوكال – ان – كي - ا) مردوخ بوصفه إله الينابيع
(نينورتا) هو مردوخ بوصفه اله المعرفة
(نركال) هو مردوخ فيما يخص المعركة
(زبابا) هو مردوخ بوصفه اله الصراع
(انليل) هو مردوخ فيما يخص السيادة والاستشارة
(نابو) هو مردوخ فيما يخص الحسابات
(سين) هو مردوخ حينها ينير الليل
(شمش) هو مردوخ فيما يخص العدالة
(ادد) هو مردوخ فيما يخص المطر
(تيشباك) هو مردوخ فيما يخص الفنان
(الاله اكلبير) هو مردوخ بوصفه إله كرزيزو
(شوكامونو) هو مردوخ حينما يتعلق الامر بالسله
(ايا) هو مردوخ لمدرة الطين (٨١) .

اذن الاله هو واحد تختلف اسماءه حسب تجلياته لخلقه , وحسب مهامه وكأنما الالوهيه الواحدة لايمكن الاحاطه بها الا حين تجزئتها حسب التجليات والمهام , او ان العدد الاكبر من أسماء تلك الالهه ماهي الا نعوت او صفاة وصفية تطلق معظم الاحيان على اله واحد بهدف **التعظيم والتبجيل الذي كانت تتطلبه فروض الطاعة اثناء العبادة وهذا ما اكده معظم الباحثين** (٨٢) .

اما النص الثاني فهو تعويذه موجهه الى مردوخ وهي بنبرة مختلفة عن النص الاول , فالحرارة الدينية تولي قوة أشد للفكرة المهيمنة التي تظل نفسها , فأن الوهيه مردوخ غير المدركة لايمكن للبشر تخيلها الا عند تجزئتها اي عند انبثاقها الى الوهات متعددة فمجموعة الالهه وجميع الالهه ايكيكي ليست في نهاية الامر الا خلاصه أبهته (٨٣) , ومن هذه التعويذة:-

سين هو ما هيتك الالهيه , آنو هو سيادتك

راكان سلطتك العليا , انليل صفتك الملوكية
ادد قوتك السميا , وايا الحيكم عقلك
نابو الممسك بالقلم هو علمك
اولوتيك هو نيورتا , وقدرتك هو نركال ... [٨٤] .

وفي هذا مفهوم للالوهيه الواحدة التي تتجلى بعده صفات , حين تجسدت القدرة الالهيه الواحدة في الاله (نانا – سين) إله القمر نراها ايضاً تتجلى بعده اسماء والتي تمثل باقي الالهه , ففي ترتيله يرجح ان تاريخها يرجع الى عصر النهضة السومرية الثانية خلال فترة حكم أسرة اور الثالثة في نهاية الالف الثالث ق.م , كما سنلاحظ ان الترتيله تطابق بين إله القمر وعدد من الالهه الرافدينيه الكبرى , مثل الاله البدئي (أنشار) المعروف لنا بشكل جيد من اسطورة التكوين البابلية , والإله آنو كبير إله المجمع الرافديني وهذا ما سيبح على هذه الترتيله نفساً توحيدياً واضحاً [٨٥] , وجاء في هذه الترتيله للاله نانا – سين من القدرات والصفات ما يضعه في مقدمة الالهه وجعله مظهراً للقوة الالهيه الواحدة , وجاء في هذه الترتيله :-

أيها الرب , بطل الالهه , من مثلك معظم في السماء والأرض
أيها الرب نانا , الرب أنشار , بطل الالهه
أيها الرب نانا , الرب الكبير آنو بطل الالهه
أيها الرب نانا , الرب سن بطل الالهه
أيها الرب نانا , الرب رب مدينة أور , بطل الالهه
أيها الرب نانا , رب التاج الساطع , بطل الالهه
أيها الرب نانا , صاحب الملك الكامل , بطل الالهه
انت المولود الذي انجب نفسه بنفسه تاماً كامل الهيئة [٨٦] .

ونلاحظ ورود تعبير يصف الاله القمر بانه انجب نفسه بنفسه وان ولادته كانت تامة الخلق بدون تدخل اب او ام , مما يقود الى تفسير قضية الولادة والابوه بين الالهه في الميثولوجيا السومرية تفسيراً بعيد عن الولادة المجهوده وانما يكون لها معناً اخر غير الولادة العضوية , وقد ورد هذا التعبير في احدى التراتيل المصرية القديمة حيث تصف الاله بانه صنع نفسه بنفسه :-

يلد ولم يولد , ينجب ولم ينجب أحد
خالق ولم يخلق أحد , صنع نفسه بنفسه
هو الوجود بذاته , لا يزيد ولاينقص [٨٧] .

وفي صلاة للاله سين والقمر في العصر الاشوري الحديث كانت تؤدي في اليوم الثالث عشر من الشهر القمري .

اي الهي سين المبجل , أي الهي ننار
انت (آنو) السموات ومشيئتك الخافية لا يعرفها احد [٨٨] .

وهذا تجلي للقدرة الالهيه الواحدة والتي مثلها (آنو) اولاً في الاله سين , وكما هي باقي الكائنات الالهيه ما هي الا مظاهر للاله الواحد الذي يتجلى في علاقته مع البشر [٨٩] .

الهوامش

(١) قاشا , زهير , اثر الكتابات البابلية في المدونات التاريخية (ط١ , بيروت , بيسان , ١٩٨٨) , ص ٢٩١ .
(٢) جواد علي , المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (ط١ , بيروت , دار احياء التراث العربي) , ج٦ , ص ٢٩ .
(٣) سورة يونس , آية ١٩ .
(٤) الماجدي , خزعل , متون سومر , (ط١ , بيروت , الاهلية , ١٩٩٨), ص ١٦٦ .
(٥) سورة الروم , آية ٣٠ .
(٦) السواح , فراس , الاسطورة والمعنى (ط٢ , دمشق , دار علاء الدين , ٢٠٠١) , ص ٢٠٩ .
(٧) جورجي كنعان , تاريخ الله (ط٢ , بيروت , دار انكي , ٢٠١١) , ص ١٦٦ .
(٨) خليف , بشار , نشوء فكرة الالوهه (ط١ , دمشق , الاهالي , ٢٠١١) , ص ١٠٨ .
(9) Lakenbil , D,D. Ancient Recordsaof Assyria and Babylonia , New York , 1968 , Vol , II , P , 33 .
(١٠) بشار خليف , المصدر نفسه , ص ١٠٨ .
(١١) السعدي حسين عليوي عبدالحسين , وظائف الالهه في بلاد الرافدين , اطروحة دكتوراه جامعة بغداد , كلية الاداب , ٢٠١٥ , ص ٣ .
(١٢) السواح , فراس , مدخل الى نصوص الشرق القديم (ط٣,دمشق , دار التكوين , ٢٠١٧) , ص ٢٣٦ .
(١٣) السواح , مدخل الى نصوص الشرق القديم , المصدر نفسه , ص ٢٠ .
(١٤) لابات , رينيه , المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين , ترجمة الاب البيرابونا (ط٢ , بغداد , نجم المشرق , ٢٠٠٤) , ص ٤٨ .
(١٥) ادوارد كيرا , كتبوا على الطين , ترجمة : محمود حسين الامين , دار مكتبة كريم , ص ١٥٢ .
(١٦) نينتو :- معناها سيدة الولادة وتدعى بيليت وتعني سلطانه الالهه وتدعى ايضاً مامي . للمزيد من التفاصيل ينظر :- رينيه لابات , المصدر السابق , ص ٣١ .
(١٧) رينيه لابات , المصدر السابق , ص ٣٢ .
(١٨) كرايمر , صموئيل , السومريون , ترجمة : فيصل الوائلي (ط١ , بيروت , مكتبة الحضارات) , ص ص ١٥١ – ١٥٢ .
(١٩) سورة النبأ , اية ١٠ .
(٢٠) المسلماوي , مجيد , القرآن ماذا تعرف عنه (ط١ , النجف الاشرف , ١٩٧٩) , ص ١٠٩ .
(٢١) جبور , باسم ميخائيل , ملامح تاريخية من ادب الاكدي (ط١ , بيروت , بيسان , ٢٠١٧) , ص ٦٥ .
(٢٢) كرايمر , السومريون , المصدر السابق , ص ٣٣١ .
(٢٣) كرايمر , السومريون , المصدر نفسه , ص ٣٣٢ .
(٢٤) جواد علي , المصدر السابق , ص ٧ .
(٢٥) المصدر نفسه , ص ٧ .
(٢٦) جواد علي , المصدر السابق , ص ٩ .
(٢٧) جان بوتيرو , بلاد الرافدين الكتابة , ص ص ٢٦٠ – ٢٦١ .
(٢٨) العبادي , معاذ حبش خضر , المجالس في العراق القديم , اطروحة دكتوراه مقدمة لكلية الاداب , دامعة الموصل , ٢٠١٢ , ص ٣٣ .
(٢٩) كرايمر , السومريون , المصدر نفسه , ص ١٩٣ .
(٣٠) المشكور , جنان عبدالرضا , الاله آنو , رسالة ماجستير , كلية الاداب , جامعة بغداد , ٢٠١٤ , ص ١٠ .

(٣١) رينيه لابات , المصدر السابق , ص ص ١٣ – ٤٩ ؛ انظر سامي سعيد الاحمد , المعتقدات الدينية في العراق القديم ,ص ٢٠٢ .
(٣٢) لابات , رينه , قاموس العلامات المسمارية , ترجمة : البير ابونا و وليد الجادر (بغداد , ٢٠٠٤) , ص ص ١٣ – ٤٩ .
(٣٣) المشكور , المصدر السابق , ص ١٢ .
(٣٤) بتي دي شونك ميدر , صوات إينهدوانا (ط١ , بيروت , الجمل , ٢٠٠٩) , ص ص ٢٦٩ – ٢٧٠ .
(٣٥) بشار خليف , المصدر السابق , ص ص ١٠٧ – ١٠٨ .
(٣٦) سورة النازعات , آية ٥ .
(٣٧) سورة الأنبياء , آية ٢٦ – ٢٧ .
(٣٨) الكتاب المقدس , المزمور ١٠٣ , الاية ٢١ .
(٣٩) السعدي , المصدر السابق , ص ٧٥ .
(٤٠) كرايمر , السومريون , المصدر السابق , ص ٣١٥ .
(٤١) السعدي , المصدر السابق , ص ص ٧٦ – ٧٧ .
(٤٢) اسطورة اشنان ولاهار :- وهي اسطورة سومرية تتحدث عن خلق كائنان الهيان لاهار اله الماشية واشنان اله القمح الذين خلق من اجل ان يجهزوا الطعام والملابس للكائنات الالهيه (الالهه) . للمزيد من التفاصيل ينظر :- صموئيل هنري هوك , الاساطير ما بين النهرين , ترجمة : يوسف داود عبدالقادر (ط١ , بغداد , دار الجمهورية , ١٩٦٨) , ص ١٣ .
(٤٣) كرايمر , السومريون , المصدر السابق , ص ٣١٤ .
(٤٤) معبود سومري والاسم يعني بذور الحياة الاميرية , كما يشير الى مجموعة الالهه محلية ,اما لدى الاكديين فكان ينطق باسم انوناكي ويطلق على الالهه العالم الارضي المقابل الايكيكي الاله السماء . للمزيد من التفاصيل ينظر :- نعمة , حسن , موسوعة ميثولوجيا واساطير الشعوب القديمة ومعجم اهم المعبودات القديمة (ط١ , بيروت , دار الفكر البناني , ١٩٩٤) , ص ١٦٠ .
(٤٥) الشواف , قاسم , ديوان الاساطير , الكتاب الثاني , الالهه والبشر (ط١ , بيروت , دار الساقي , ١٩٩٧) , ص ٤٩ .
(٤٦) كرايمر , السومريون , المصدر السابق , ص ١٥٠ .
(٤٧) كرايمر , المصدر نفسه , ص ١٥٠ .
(٤٨) سورة الانبياء , آية ٢٧ .
(٤٩) سورة التحريم , آية ٦ .
(٥٠) صاحب , زهير , اغنية القص دراسة في الحضارة السومرية (ط١ , بغداد , دار الجواهري , ٢٠١١) , ص ١١٩ .
(٥١) كرايمر , السومريون , المصدر السابق , ص ص ١٥٠ – ١٥١ .
(٥٢) بشار خليف , المصدر السابق , ص ١٢٧ .
(٥٣) السعدي , المصدر السابق , ص ٨٣ .
(٥٤) سورة النحل , آية ٤٩ .
(٥٥) سورة الرعد , آية ١٣ .
(٥٦) سورة الشورى , آية ٥ .
(٥٧) كنزا ربا :- وهو الكتاب المقدس للديانة المندائية الصابئيه ومعناه الكنز العظيم او كنز الرب .
(٥٨) الكنزا ربا , اليمين , التسبيح الاول , البوثات ١٤ – ١٥ .
(٥٩) سفر اشعيا , الاصحاح السادس , الاية ٢ – ٣ – ٤ .
(٦٠) سورة البقرة , آية ١٧٧ .
(٦١) سورة البقرة , آية ٢٨٥ .
(٦٢) سورة البقرة , آية ٩٨ .
(٦٣) سورة النساء , آية ١٣٦ .

(٦٤) الكنزا ربا , اليمين , التسبيح الثاني , البوثات ١ – ٢ – ٣ – ٤ -٥ – ٦ -٧ – ٩ – ١٠ .
(٦٥) سورة ال عمران , آية ٨٠ .
(٦٦) سورة سبأ , آية ٤٠ .
(٦٧) سورة الزمر , آية ٣٨ .
(٦٨) سورة الزمر , آية ٣ .
(٦٩) المشكور , المصدر السابق , ص ص ٦٦ – ٦٧ .
(٧٠) لماجدي خزعل , بخور الالهه , (ط١ , عمان , الاهلية للنشر , ١٩٨٨) , ص ٩٣ .
(٧١) وهي اسطورة عراقية قديمة وجد لها عدة نصوص باللغة البابلية في عهود متفاوتة , تدور الاسطورة على مخلوق غريب بهيئة طائر اسمه انزو او (زو) سرق من الاله انليل الواح القدر واستطاع ننورتا (وهو احد الاله العراقية القديمة) المعروف بصفات القوة والقتال العنيف . للمزيد من التفاصيل ينظر :- طه باقر , مقدمة في ادب العراق القديم , المصدر السابق , ص ١٣١ ؛ السواح , مدخل الى نصوص الشرق القديم , المصدر السابق , ص ٢٦٤ .
(٧٢) رينيه لابات , المصدر السابق , ص ١١٨ .
(٧٣) بتي دي شونك ميدر , صوات إينهدوانا (ط١ , بيروت , الجمل , ٢٠٠٩) , ص ص ٢٦٩ – ٢٧٠ .
(٧٤) ميدر , المصدر السابق , ص ص ١٤٧ – ١٤٨ .
(٧٥) المصدر نفسه , ص ١٤٨ .
(٧٦) الماجدي , انجيل بابل , المصدر السابق , ص ٩٣ .
(٧٧) قاشا , أثر الكتابات البابلية , المصدر السابق , ص ٢٩٢.
(٧٨) المشكور , المصدر السابق , ص ٣ .
(٧٩) الحسيني , معَدى , الاساطير البابلية (ط١ , القاهرة , كنوز للنشر , ٢٠١٢) , ص ص ٩٤ – ٩٥ .
(٨٠) السواح , الاسطورة والمعنى ,المصدر السابق , ص ٢٠٨ .
(٨١) رينيه لابات , المصدر السابق , ص ص ٩٧ – ٩٨ .
(٨٢) السعدي , المصدر السابق , ص ص٣ .
(٨٣) رينيه لابات , المصدر السابق , ص ٩٨ .
(٨٤) رينيه لابات , المصدر نفسه , ص ص ٩٩ – ١٠٠ .
(٨٥) السواح , مدخل الى نصوص الشرق القديم , المصدر السابق , ص ٤٣٤ .
(٨٦) السواح , مدخل الى نصوص الشرق القديم , المصدر نفسه , ص ٤٣٥ .
(٨٧) السواح , الاسطورة والمعنى , المصدر نفسه , ص ١٨٩ .
(٨٨) السواح , الاسطورة والمعنى , المصدر نفسه , ص ١٢٠ .
(٨٩) ميدر , المصدر السابق و ص ٣٦ .